من نفائس الاثار

لحضرة الاستاذ سعيد الكرمي مقالة افتتاحية في الجزء الثاني من مجلة المجمع العلمي العربي عنوانهـــا نفائس الآثار أتى بها على ذكر ماافتتاه المجمع مؤخراً من المخطوطات النفيسة، من ذلك كتاب الفوائد في معرفة علم البحر والقواعد تأليف شهاب الدين احمد بن ماجد النجدي من اعيان القرن التاسع الهجري، ورسائل المؤلف نفسه هي اراجيز ذات ابحاث مختلفة اكثرها في الملاحة ومايتعلق بها .

وختم الاستاذ الكرمي مقالته بقوله : «ولم اجد في كل هذه الرسائل سالماً من التحريف الا الارجوزة الاخيرة وهي المنسوبة لعلي بن ابي طالب (رضه) . وبالجملة فان هذا الكتاب من النوادر التي لم نرَ في بابه مثله وحبذا لو نجد منه نسخة صحيحة سالمة لنقابل هذي عليها .»

ومن غرائب الاتفاق ان وردتنا في الشهر الفائت نشرة بالافرنسية من الكتبي پول غطنر (Paul geuthner) في شارع جاكوب رقم ١٣ في باريس . عنوانها مؤلفات ابن ماجد الملقب باسد البحر — ربان ماسكودي غاما (الذي طاف حول الارض) . استخرجها وترجمها وعلق حواشيها غبريال فران (د) (Gabriel Ferrane)

وسيصدر هذا الكتبي اربعة مجلدات :—

(الاول) فوائد في الملاحة لابن ماجد منقولاً بالتصوير الشمسي عن المخطوطات النادرة الموجودة في المكتبة الوطنية في باريس تحت رقم ٢٢٩٢، ٢٥٥٩ وسيقع في ٢٩٨ صفحة عربية .

(الثاني) فوائد في الملاحة لسليمان المهري منقولاً بالتصوير الشمسي عن مخطوطات رقم ٢٥٥٩ وهي مباحث نثرية وستقع في ٢٦٢ صفحة عربية .

(الثالث) ترجمة الاقسام الجغرافية في المخطوطات المذكورة وشرحها مع تفسير الاصطلاحات العربية في فن الملاحة .

(الرابع) تراجم بعض الادلاء (Routiers) القدماء البرتوغال .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وسيظهر المجلد الاول في تسعة كراريس كل منها ٤٨ صفحة وثمن الكراس الواحد عشرون فرنكا على شرط الاشتراك في الكراريس جميعها .

ولقد اطنب الاستاذ فران في مدح ابن ماجد وعزا الفضل في تفوق الملاحة البرتوغالية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الى المعلومات التي اخذها البرتغال عن العرب .

ووصف كتاب الفوائد في معرفة علم البحر والقواعد فقال انه يتضمن البحث عن اصول الملاحة وحجر المغناطيس ومنازل القمر الثمانية والعشرين والنجوم التي تقابل اقسام الابرة المغناطيسية الاثنين والثلاثين (الحك) . وعرض بعض الثغور على الاوقيانوس الهندي والبحر الصيني وشكل البرود (جمع بر) ومراسي ساحل الهند الغربية ، والجزر العشر الكبرى المشهورة — شبه جزيرة العرب ، جزيرة قمر او مدغسكر ، سومطره ، جاوه ، الغوراو فرموزه ، سيلان ، زنجبار ، بحرين وابن غوان Gawan في خليج فارس ، سوقطره — والرياح (المواسم) Moussono — الرياح الدورية في المحيط الهندي . وختام هذه المباحث وصف البحر الاحمر بالتفصيل — ذكر مراسيه واعماقه وصخوره الظاهرة والخفية . ويقول (سلان) Slane في برنامج ٢٢٩٢ ان لغة هذه المخطوطات تكثر فيها الاصطلاحات التي لم تكن معروفة الا عند ملاحي البحر الهندي .

ويتلو هذا وصف «حاوية الاختصار في اصول علم البحار» وهي ارجوزة تحتوي على احد عشر فصلاً تبحث عن العلامات التي يجب على الربابنة معرفتها استدلالاً على قرب البر ، وعن منازل القمر ومهاب الريح ، وعن السنة الهجرية والرومية والقبطية والفارسية ، وعن معرفة الباشي (؟) Basi ورياحها (المواسم) وازمنة هبوبها وسكونها (على الحساب الفارسي) وعن طريق سير السفن على ساحل العربية والحجاز وسيام وشبه جزيرة ملقا واطراف بلاد الزنوج الخ . وعلى سواحل الهند الغربية وسواحل القرومندل والباط والبنغال وسيام حتى جزيرة بليطون والمهراجا (جاوه) والصين وفرموزه ، وعن سير السفن على سواحل جزر مهواجا وسومطره والغال (لكيديفنيا) ومدغسكر واليمن والحبش وبلاد الصومال والاطوح (جنوبي العربية)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والمقران ، وعن المسافات بين الثغور العربية والثغور الهندية . وعن عوض الثغور على البحر الهندي الخ.

ثم اتى على ذكر الاراجيز والقصائد التالية :

(١) ارجوزة موضوعها الملاحة في خليج بربرا او عدن تاريخها سنة ١٤٨٥

(٢) ارجوزة في معرفة القبلة في جميع الاقطار تاريخها ١٤٨٨

(٣) ارجوزة من مئة بيت على بر العرب في خليج فارس

(٤) ارجوزة من ٢٢٠ بيتاً على فائدة الاستدلال ببعض النجوم في بنات نعش الكبرى وبنات نعش الصغرى على السير في البحر .

(٥) ارجوزة (والاستاذ الكرمي ذكر انها قصيدة من بحر البسيط) اولها :

يا ايها الناس مهما شئتم قولوا الارض معلومة والبحر مجهول

وهو الصحيح واسمها كنز المعالمة (وفي النشرة الافرنسية كنز المعلم) وذخيرتهم في علم المجهولات في البحر والنجوم والبروج واسمائها واقطابها – وكان يطلق عليها للاختصار (كنز المعالمة) وتاريخها قبل ١٤٨٩

(٦) ارجوزة من ٢٥٥ بيتاً تتضمن ذكر المراسي على ساحل الهند الغربية وعلى ساحل العربية الواقعة بين الدرجة السادسة والدرجة الرابعة والعشرين والدقيقة الخمسين شمالاً .

(٧) ارجوزة من ٦٤ بيتاً اسمها (الميمية) موضوعها فائدة بعض النجوم الشمالية في سير السفن . تاريخها قبل ١٤٨٩

(٨) ارجوزة من ٥١ بيتاً (من الرجز المخمس) تتضمن ذكر الكواكب المفيدة في الملاحة .

(٩) ارجوزة من ١٣ بيتاً على الشهور الرومية – تاريخها قبل ١٤٨٩

(١٠) ارجوزة من ١٩٢ بيتاً اسمها (ضريبة الضرائب) في ذكر الكواكب النافعة في الملاحة – تاريخها قبل ١٤٨٩

(١١) ارجوزة من ٤٨ بيتاً منسوبة لعلي بن ابي طالب في معرفة منازل القمر وحقيقتها في السماء واشكالها وعددها واوصافها التامة – تاريخها قبل سنة ١٤٨٩

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

(١٢) قصيدة من ١٧٢ بيتاً اسمها (المكية) في الطرق البحرية من جدة الى راس قرتك (جنوبي بلادالعرب) فكاليكوث فذابول فالكنكان فالغزارة فالاطوح فهرموز (والارجح ان بعض هذه الاسماء محرف بنقله من العربية الى الافرنسية)

(١٣) ارجوزة من ٥٦ بيتاً اسمها (نادرةالابدال) على النسر الواقع والعيوق.

(١٤) قصيدة من ١٩٤ بيتاً اسمها (الذهبية) تبحث عن الصخور البحرية وعن الاعماق وعلامات البر الخ — تاريخها قبل ١٤٨٩

(١٥) قصيدة من ٥٧ بيتاً في الضفدع والاسماك والحيتان.

(١٦) ارجوزة في مراقبة بعض النجوم والابراج.

(١٧) تسعة فصول نثر مختصرة في الماردا (?) Mariza وسير الاغوار في المحيط الهندي.

(١٨) ارجوزة من ٣٠٥ ابيات عنوانها (السبعية) في مباحث بحرية وتاريخها سنة ١٤٨٣

(١٩) ارجوزة من ٣٣ بيتاً لا اسم لها ولا تاريخ موضوعها علم الفلك في الملاحة.

(٢٠) قصيدة من ١٥٥ بيتاً اسمها (الهادية) في النجوم التي توافق رسوّ السفن وفي وصف المراسي على الشواطىء من (صني) الى دابول.

وفي هذه المخطوطات ذكر لثماني رسائل أخر في الملاحة لابن ماجد لم يظفر بها بعد.

★ ★ ★

ان صاحب هذه المصنفات هو شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر بن فضل بن (دويك) ? Duvik بن يوسف بن حسن بن حسين بن علي معلق السعادي بن علي ركائب النجدي. وهو يلقب نفسه بشاعر القبلتين أي مكة والقدس الذي حج الى الحرمين الشريفين — سليل الاسود (وكني بهم المعلمين الثلاثة أي الربابنة المشهورين في زمانه الذين عاشوا في القرن الثامن للميلاد ووضعوا أصول الملاحة وقد كانت مجهولة من قبلهم) رابع الثلاثة (أي الربابنة الثلاثة) أسد البحر لهائج. كتب جده رسالة في الملاحة في البحر الاحمر خدمة للسفن التي تقل الحجاج

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وزاد عليها والده (أي والد ابن ماجد) نتيجة اختباراته الشخصية ثم قام ابن ماجد نفسه وفاق والده وجده واكمل ما سبقاه اليه .

★★★

وفي الحقيقة ان رسائل ابن ماجد في الملاحة وتاريخ كتابتها بين ١٤٦٢ و ١٤٨٩ — ٩٠ انما هي مجموعة كاملة لكل ما عرف في أصول هذا الفن علماً وعملاً الى أواخر العصور المتوسطة . ولحسن الحظ قد حفظت مؤلفاته الى أيامنا هذه . ومما يدعو الى الاعجاب والاستغراب وصفه للبحر الاحمر فانه وان كان فيه شيء من الخلل في حساب العرض فانما ينشيء عن قصور الآلات التي كانت تستعمل في زمانه فهو مما لم يسبقه اليه بل لم يدانه فيه أحد من الكتاب الاوربيين الذين كتبوا في الملاحة الشراعية . كذلك ما كتبه عن الرياح (المواسم) الدورية وعن الرياح المحلية وعن طرق السير الى الاساكل في المحيط الهندي فانه كله في غاية من الدقة والكمال بل لا يمكن ان يكتب أفضل منه في القرن الخامس عشر فضلاً عن انه لا يوجد في أية لغة كانت لذلك العهد شيء من مثله .

هذا وناهيك ان ابن ماجد هو شخص تاريخي معروف وسنثبت بالمستندات الراهنة انه هو الربان العربي الذي سير الاسطول البرتوغالي بقيادة فاسقودي غاما من مالندي على ساحل افريقية الشرقية الى كلكتا في الهند .

وقواعد الملاحة التي وضعها ابن ماجد ظل البحارة المسلمون في ملديفيا على اعتمادها الى اواسط القرن التاسع عشر . ولقد ذكر برتن الانكليزي ان بحارة عدن في سنة ١٨٥٤ كانوا قبل السفر يتلون الفاتحة اكراماً للشيخ ماجد (مخترع الابرة المغناطيسية) ولا ريب ان المقصود بالشيخ ماجد هو ابن ماجد نفسه لا سواه .

★★★

والقسم الاخير من تلك النشرة مخصص بالرسائل الخمس لسليمان بن أحمد المهري (نسبة الى مهرة في جنوبي بلاد العرب) المحمدي الذي عاش في النصف الاول من القرن السادس عشر وعنوان الرسالة الخامسة تحفة الفحول في تمهيد الاصول وهي تحتوي على سبعة أقسام في وصف الكرات والنجوم ومعرفة الدائرة عملياً . وفي الزام

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

(مسافة ثلاث ساعات سيراً) وفي الطرق البحرية ومراقبة النجوم لتعيين عوض الأمكنة وفي المسافات بين بعضها البعض وفي الرياح .

ويستدل من كتاب المحيط الذي وضعه أمير البحر التركي سيدي علي ان سليمان المهري لم يكن حياً في سنة ١٥٥٣ ومن ثم فرسائله الحالية من التواريخ يجب أن تكون قد كتبت قبل سنة ١٥٥٣ .

***

بقي ان نقول ان أصول علم البحر التي وضعها ابن ماجد وسليمان المهري تشرح بالتفصيل حالة الملاحة والمواصلات البحرية في البحار الشرقية بين سواحل افريقية الشرقية وثغر زيتون (هي تسوانتشو في الصين) الى فوكين . وتتناول البحر الاحمر وخليج فارس وجميع الجزر في المحيط الهندي وبحر الصين الغربية والارخبيل الاسيوي الكبير . وهي فريدة في بابها بل لا تثمن لتاريخ الملاحة والتجارة في البحور الشرقية وفي الشرق الاقصى قبل ظهور فاسقودي غاما وبداءة الفتح البرتوغالي .

بيروت : الجامعة الاميركانية بولس الخولي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net